# من تصريف الضمير في القرآن الكريم

للأستاذ علي النجدي ناصف

**لم تعرف** الدنيا فيما طوت من دهرها الأطول ، ولا تعرف فيما تشهد من حاضرها الماثل ، ولن تعرف فيما تستشرف من أبدها القابل — كتابا نزل من السماء ، أو خرج من الأرض ، فصنع للبشرية مثل ما صنع القرآن الكريم

لقد جاءها بدستور إلهى ، ينظم حياتها ، ويقيم الأمر فيها على قواعد راسيات من التراحم والتواد ، ومن العدل والحرية ، ومن الإخاء والمساواة ، وهو بعد معجزة البيان الخالدة ، براعة نظم ، وإشراق بيان ، وشرف رسالة ، وبلاغة حكمة ، واستقامة هدى ورشاد .

فلم يكن عجيبا ولا مستغربًا أن يؤخذ الناس به ، وينشطوا إقبالًا عليه عصرا بعد عصر ، يدرسونه ، ويتدبرون آياته ، فكان من ذلك ، وبتوفيق من الله وعون — أن اشتقت منه علوم ، ووضعت له علوم ، ودارت حوله دراسات وبحوث ، لاينفرد بذلك أهل لغته والمؤمنون به ، ولكن — يشاركهم فيه جمهرة عظيمة من أولى العلم وأصحاب المزية هنا وهناك وسيظل ينبوع معارف ومصدر وحى وإلهام على تعاقب العصور والأجيال . وبكل لغة ذات حياة .

ومن عادة القرآن ألا يلتزم فى التعبير نهجا واحدا ، ولكنه يفتن فيه ما شاء ، فهو حينا يأخذ على مقتضى الظاهر ، فإذا بيان أبلج ، كأنه فلق الصبح وضوحا وإشراقا ، وحينا يذهب مع المعنى ، ويؤثره على النظم فى نمطه المعتاد ، لناشئة من إشارة لطيفة ، أو لمحة دقيقة ، فيكون من ذلك — فيما يكون تخالف بين الضمير ومرجعه ، إفرادا وتثنية وجمعا ، وتذكيرًا وتأنيثا ، إلى ضروب أخرى من التخالف تنطوى على أسرار مكنونة ، وحكم مصونة .

---

(*) انظر التعقيبات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين ( جلسة الثلاثاء ٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٧٩ م ) .

ولعمرى ما هذه وتلك إلا معالم يقيمها التنزيل الحكيم مواقف تدبر وإمعان لا يملك القارئ المستبصر إلا أن يقف عليها . وينظر فيها لعله ظافر منها بنفحة من غيبه أو ومضة من نوره ، تطيب بها نفسه ويخشع لها قلبه ، ويزيد بها إيمانه قوة ورسوخا .

ولقد نالت هذه المتشابهات حقها المقسوم من عناية أسلافنا المكرمين . عكفوا عليها لا يألونها درسا وبحثا ، غير أنهم كانوا فى جملة الأمر يعولون فى أمرها على علوم اللغة ، يستقتونها ، ويحتجون بشواهدها ولا يكادون يعدلون بها بدلًا ، أو يلتمسون من سواها عونا .

ولعلوم اللغة فى هذا المقام شأن مذكور ، لا مراء ولا خلاف ، لأنها قوانين العربية والعيار عليها .

والعربية هى اللسان الذى اختاره الله — تعالت حكمته — لكتابه الكريم لكن علومها ليست هى المرجع الوحيد فى كل مقام ، فهناك أولًا القرآن نفسه ، ليس كمثله شىء تأويلًا لمتشابهه ، وتفصيلًا لمجمله ، وكشفًا لأسراره ، فى مواطن مختلفات .

وإذن يكون التعويل على علوم اللغة وحدها قصورًا ، لا يؤمن معه التكلف والاعتساف فإذا التأويل بعيد ، والمعنى معه هزيل ، وإذا الذوق والإحساس بمضيعة من القضية ، كأن ليس لهما فيها عمل أصيل ، ولا رأى رشيد ، وإنهما لمناط المتعة والاقتناع ، وعدة التأثر والانفعال .

ثم هناك مع القرآن الكريم فى هذا المقام واقع الحياة ، وسنة الله فى الوجود . وإنى مورد هنا ثلاثة أمثلة من الآيات جرى فيها تصريف الضمير على خلاف مقتضى الظاهر ، ثم أحاول أن أكشف سر هذا الخلاف على ما يبدو لى أنه الرأى والله وحده هو العليم بما يريد .

أول هذه الأمثلة عن المنافقين ، وثانيها عن وأد البنات ، وثالثها عن الأنعام .

والمنافقون الذين نعنيهم هم الذين قال الله فيهم : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوا إِلَى شَيَاطِينهم قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئون )[1] .

إنهم – كما تصفهم الآيتان – قوم آمنوا بألسنتهم ، وكفروا بقلوبهم . ويشبههم الله تعالى بما يزيد حالهم وضوحًا ، فيقول : ( مَثَلُهُمْ كَمَثَل الَّذِى اسْتَوْقَد نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُم فِى ظُلُمَات لَا يُبْصِرُون )[2]

ونلاحظ أن مستوقد النار فى الآية مفرد ، وقد وصف بلفظ « الذى » وهو الاسم الموصول الذى يوصف به المفرد ، وأسند إليه الفعل « استوقد » كما يسند إلى المفرد ، وعاد عليه الضمير المتصل بكلمة « حوله » ، وهو ضمير المفرد أيضًا ، لكن الضمير « هم » فى كل من « نورهم » « وتركهم ، ولا يبصرون » ضمير الجمع المذكر العاقل . فقد اختلفت هنا الضمائر وما تعود عليه . هو مفرد وهى لجمع .

ولقد نظر العلماء فى هذا الخلاف ، ولكنهم لم ينتهوا فيه إلى رأى جميع فقال الفراء ، « ضرب المثل – والله أعلم – للفعل : لا لأعيان الرجال وإنما هو مثل للنفاق . وعلى هذا يكون التأويل : مثل فعلهم كمثل فعل الذى استوقد نارًا . فلما أضاءت ما حول الفعل ذهب الله بنورهم . وهو تأويل غير مقبول ، لأن لفظ الفعل ليس مذكورًا وليس فى الآية ما يشير إليه ، فكيف يعود الضمير عليه ، ثم إن الأشبه بالمنطق أن تضىء النار ما حول المستوقد ، لا ما حول فعله . ويمضى الفراء فيقول ، « وإنما قال الله – عز وجل – ، ( ذهب الله بنورهم ) لأن المعنى ذهب إلى المنافقين[3] ، يريد أن المعنىّ فى الآية هم المنافقون ، ولهذا كان استعمال ضمير الجمع . ولا أدرى أهذا الذى يقوله الفراء شىء خصت به الآية ، أم هو الجائز فى كل كلام ؟ وإذن تكون الفوضى والتخليط » .

ورأى ثان أن ( الذى ) مفرد لفظًا ، لكنه فى المعنى نعت لما له أفراد ، والتأويل

---

(١) سورة البقرة : ١٣ ، ١٤
(٢) سورة البقرة : ١٨
(٣) معانى القرآن : ١٥

على هذا مثلهم كمثل الجمع الذى استوقد نارًا . ولا أدرى هل اشترك الجمع فى إيقاد النار أو عهدوا به إلى أحدهم ، فناب عنهم فى التعبير كما ناب عنهم فى الإيقاد . ورأى ثالث يشبه هذا فى دلالته ، وإن خالفه فى صياغته [1] .

لم يبق إذن إلا أن نرجع إلى الآية ، ونعيد النظر فيها ، لعلنا نهتدى إلى رأى نرتضيه ، فماذا هناك ؟ هناك ضمير حوله يطابق مرجعه وضمير كل من نورهم — وتركهم ولا يبصرون لا يطابقه ، وليس لها مرجع مذكور فهل ، علينا إذا ادعينا أن مستوقد النار ليس وحيدًا ، ولكن له أصحابًا يشاركونه فى الصورة ، رمزت إليهم الآية بضمائرهم وغنيت بذكرها عن ذكرهم ، فالضمير يشير إلى صاحبه ، ويكنى عنه .

فأين نجد هؤلاء الأصحاب ؟ نجدهم فى القرآن نفسه ، إذا التمسناهم حيثما تذكر نار الدنيا نعمة للناس ومتاعًا ، كما ذكرت هنا فى هذه الآية ، هم إذن فى قوله تعالى : ( أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُون أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ المنشئُون ، نَحْنُ جَعَلْنَاها تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلمُقْوِينَ ) [2] أى النازلين فى القواء ، أى القفر .

والقرآن كل متآلف ، وصرح متماسك ، فإذا نحن وصلنا هذه الآيات بآية البقرة ، وقرنا مستوقد النار هنا إلى أصحاب النار هناك جاز لنا أن نقول : إن مثل المنافقين عند الله كمثل جماعة من سراة الليل ، وجدوا فى أنفسهم حاجة إلى التعريس ، لعلهم يصيبون شيئًا من راحة ومتاع وها هم أولاء قد عنّ لهم منزل صالح — لما يبتغون ، فأتوه ، وألقوا رحالهم وتقدم أحدهم فأوقد نارًا وفاءً لمطلب يراد ، فاشتعلت النار ، وأضاءت نورها ، ثم لم تلبث أن طفئت ، فإذا هم جميعًا مظلمون .

فأما سرى الليل فيحكى هنا رحلة الحياة الضالة التى يحياها هؤلاء المنافقون ، وأما الإحساس بالحاجة إلى التعريس — فيحكى إحساسهم بالحاجة إلى ثقة المؤمنين بهم واطمئنانهم ليتقوا سخطهم وما قد تجلبه عليهم المناقضة والخلاف ، وما لهم فى ذلك حيلة إلا أن يتملقوهم ويقولوا لهم بألسنتهم مثل ما يقولون .

---

(١) البحر المحيط : ١ : ٧٤ — ٧٦ ، وروح المعانى : ١ : ١٥١ ، ١٥٢

(٢) سورة الواقعة : ٧١ — ٧٣

وأما النار التى استوقدها صاحبهم فهى الكلمات المؤمنة يقولها كل قائل منهم لمن يلقاه من المؤمنين ، فتخرج من بين شفتيه ولها وميض وإشراق ، وإن كانت لتخفى تحتها ظلاما حالكا ، كالنار الموقدة ، تضىء ما حولها ، وإن من تحتها لرمادا هامداً . وإذا ما انقلب إلى شياطينه ، وخلا إليهم لبس لبوسهم ، وكان واحدا منهم فى سره وجهره ، فإذا هم جميعا من الضالين المكذبين .

أما وأد البنات ، فإثم كبير ، لم يكن يتعاطاه إلاقلة من عرب الجاهلية ، أما الكثرة الغالبة فكانت تكرم الأنثى ، ولا تبخسها حقها ، على قدر ما تأذن به حياة البادية ، وتقاليدها الموروثة . فهذا مرة بن محكان ينزل به أضياف له ، فيدعو زوجه فى رقة بالغة وعذوبة فائقة أن تنهض إلى رحالهم ، فتضمها إليها إذ يقول :

ياربة البيت قومى غير صاغرة ضمن
إليك رحال القوم والقُرُبا[1] .

وهذا معن بن أوس ينكر على من يبغض بناته بغضهن ، ويشيد بما آتاهن الله تعالى من حنو ووفاء ، فيقول :

رأيت رجالا يكـــرهون بناتهـــم
وفيهن لا تُكذبْ نساءٌ صوالـــح
وفيهن — والأيام يعثرن بالفتى
نوادب لا يملنه ونوائـــــح[2]

وهذا أب كان يطمع أن يرزق مولودا ذكرا ، فجاءته زوجه بأنثى ، فغضب وهجر بيته ، ونزل على جار له ، فقالت زوجه تعاتبه فى وداعة ورفق ، وتحاول أن ترد عليه ماعزب من صوابه فتقول :

ما لأبى حمـــزة لا يأتينـــا
يظل فى البيت الـــذى يلينـــا
غضبـــان ألاّ نلـــد البنينـــا
ليس لنا من أمـــرنا ما شيا
وإنمـــا نأخـــذ مـــا أُعطينـــا

ويسمع الأب الغاضب الرجز ، فيهرع إلى بيته آسفا ، فإذا الأم تناغى صغيرتها فى حنان وحب أصيل ، فيثب

---

(١) ديوان الحماسة : ٢ : ٢٤٢
(٢) الامالى : ٢ : ١٩٠
(٣) الكشاف ٢ ؟ : ٣٤٨

إليها، ويلتقط الطفلة من بين يديها يضمها إلى صدره مشوقا نادما، ومن سادة العرب من كان يفتدى الموءودة من حرّما له ، رحمة بها وإبقاءً عليها.

وهناك الشعراء العرلون، كانوا يلهجون بالأُنثى ، ويتزلفون إليها رغبة وشوقا أو حنينا وإكبارا .

أما أصحاب الوأد فجماعة من قساة القلوب ، أضلهم الله وأعمى أبصارهم فبدت لهم الأُنثى كلا ثقيلا ، وخلقا هماجزا ، لا تكسب رزقا ، ولا تحمل رمحا ، وقد تساق سبية فى غارة من متغلب ذى بأس شديد ، فتجلب عليهم الخزى والعار فهانت عليهم ، وأنكروا عليها حق الحياة ، ورأو أن بطن الأرض خير لها من ظهرها .

وقد نهى الله عن الوأد وأكبر إثمه ، وتوعد عليه ، ووعد مقترفيه أن يرزق أولادهم ويرزقهم معهم قال :( ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا )[1] .

ويصف الله تعالى حال الأب من هؤلاء حين تجيئه البشرى بمولد أُنثى ، فيقول : ( وإذا بُشر أحدهم بالأُنثى ظل وجهه مسودًّا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هُونٍ أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون)[2] !

ويلاحظ أن البشرى كانت بأُنثى ، وأن الضميرفى كل من «يمسكه »و «يدسه » لذكر وإذن لم يطابق الضميران مرجعهما ونحن إذ ننظر فى الاية لعلنا نهتدى إلى توجيه نرتضيه لهذا التخالف لا نجد فيها مما قبل الضميرين مايصلح أن يكون مرجعا لهما إلا لفظ «ما» فى قوله تعالى : (مابشر به ) ، فهو اسم موصول مشترك ، يستعمل للمؤنث كما يستعمل للمذكر فهو إذن واقع فى معناه موقع الأُنثى ، وهو فى لفظه مذكر ، فيصلح أن يكون مرجعا للضميرين .

---

(١) سورة الاسراء : ٣١

(٢) سورة النحل : ٥٨ ، ٥٩

توجيه – لعمرى سليم فى شرعة النحو، لكنه مشوب فى شرعة الذوق والطبع ، لأن « ما » الموصولة موضوعة أصلا لما لا يعقل ولا تستعمل للعاقل إلا قليلا ، وبعَوْنٍ من التأْويل ، ثم إن إحلالها محل الأُنثى هنا يجعل تأْويل الآية : يتوارى من القوم من سوء الأُنثى وهو لا يتوارى من سوئها نفسها بل من سوء البشرى بها كما يصرح به ظاهر الآية ، وكما فى قوله تعالى فى الآية الأُخرى : ( وإذا بُشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهُه مسوّدا وهو كظيم ) .

فلندع إذن هذا التوجيه جانبا ، ولنلتمس سر التخالف الذى ذكرنا عند الأَب وما يجيش فى نفسه من مشاعر ويدور فى خلده من خواطر ، حين جاءته البشرى ، سنراه – كما تصفه الآية ظاهرا وباطنا – أبا قاسيا حقودا ، لا تعطفه على أُنثاه عاطفة من أبوة ، ولا تأْخذه بها نسمة من رحمة ، يبغضها أشد البغض ، حتى ليستحل أن يسلبها حق الحياة بغيا وعدوا .

وهو أولى أن يسلبها حقها فى اللغة أيضا ، فلا يذكرها بضميرها الذى وضع لها ، حين يسائل نفسه عما يصنع بها ، نفورا منها ، وضنا به عليها كما يفعل المغيظ المحنق إذا أسفل عمق وليس أقرب منه ، ولا أسرع إليه من ضمير المذكر فالذكر – لا الأُنثى – هو الذى يتراءى فى خياله وهو الذى يغلبه على وعيه وانتباهه إنه حلم اليقظة ، ومنية النفس ، وقرة العين ، فالتخالف بين الضميرين ومرجعهما ينطوى إذن على لميفة بارعة من لطائف الإعجاز الذى اختص الله به القرآن الكريم . إذ يصور حقد الأَب رمزا وإيماء بعد ما صوره تصريحا وتقريرا وهى الإيماءة الدقيقة إلى خواطر السوء ومشاعر الحقد التى تضطرب فى نفس الأَب الكنود .

وأما الأَنعام فقد ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم ثمانية وعشرين مرة ،

عوملت فيها على ما يقتضيه ظاهر اللغة في ضميرها والإشارة إليها ، وفي الإسناد أيضا ، فقال سبحانه : (والأنعام خلقها لكم فيها دِفءٌ ، ومنافع ، ومنها تأكلون) [1] وقال : (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاءُ بزعمهم) [2] .

وذكرت مرتين لمقصد واحد ، لكن عاد عليها في إحداها ضمير المؤنث ، وعاد عليها في الأخرى ضمير المذكر أما الأولى ففي قوله تعالى : (وإنّ لكم في الأنعام لعبرةً نُسقيكم مما في بطونها ، ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون [3] . وأما الأخرى فقوله سبحانه : ( وإن لكم في الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) [4] .

فالآيتان تذكران أن في خلق الأنعام عبرة ، وفي لبنها نعمة ، وتوشك العبارة فيهما أن تكون واحدة وكل ما بينهما من فرق أن الأولى تذكر أن لنا منها سقيا ، ثم إنها تعيد ضميرها المطابق لها كما تصنع سائر الآيات . أما الأخرى فتسمي الشراب الذي يخرج منها وتصفه ، وتحدد مسيله ، ثم تعيد عليها ضمير المفرد المذكر ، دون سائر الآيات

وقد نظر علماؤنا السابقون في هذا التخالف بين الضمير ومرجعه ، فتفرقت بهم السبل فيه ، فقال سيبويه في باب ما لا ينصرف : « وأما أفعال فقد يقع للواحد ، ومن العرب من يقول : هو الأنعام . وقال الله عز وجل : ( نسقيكم مما في بطونه ) [5] وقال في باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة من غير الفعل : وليس في الكلام . . . أفعال إلا أن تكسر عليه اسما للجمع [6] وفحوى هذين النصين أن سيبويه يرى أن صيغة أفعال جمع لكنه مصروف ، وأن الإفراد لغة فيه . وإذن يكون تذكير ضمير الأنعام عنده آخذ على هذه اللغة فلا تخالف إذن في الآية بين الضمير ومرجعه .

---

( ١ ) سورة النحل : ٥

( ٢ ) سورة الأنعام : ١٣٨

( ٣ ) سورة المؤمنون : ٢١

( ٤ ) سورة النحل ٦٦

( ٥ ) الكتاب : ٢ : ١٧ ، ٣ : ٢٣٠

( ٦ ) المصدر السابق ٢ : ٣١٦ ، ٣ : ٢٤٧

وقال الفراءُ :وأَما قوله : (مما فى بطونه) ولم يقل فى بطونها – فإنه قيل والله أَعلم إن النعم والأَنعام شىءٌ واحد ، وهما جمعان ، فرجع التذكير إلى معنى النعم إذ كان يؤَدى عن الأَنعام ، ثم قال : وقال الكسائى : ( نسقكم مما فى بطونه ) بطون ما ذكرنا ،وهو صواب[1] .

وقال الزمخشرى : يجوز أَن يقال فى الأَنعام وجهان : أَحدهما أَن يكون تكسير نعم . . . ، وأَن يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع ، فإذا ذكر فكما ذكر نعم فى قوله :

أَكل عام نعم تحوونه
يلقحـــه قـــوم وتنتجونه

وإذا أَنث ففيه وجهان أَنه تكسير نعم ، وأَنه فى معنى الجمع[2] :

وأَكتفى بهذا القدر من آراءِ علمائنا الأَولين ، وهى آراؤُلها فى المباحث اللغوية وزن كبير لكنهما – والأَمر لله– لا تجيب عن سؤال لا يزال يحوك فى الصدر ، وهو : لماذا جاءَ ضمير الأَنعام مفردا مذكرا فى آية النحل دون سائر الآيات التى لها ذكر فيها ، حتى آية المؤمنون عى ما بينهما من تشابه كبير فى المعنى والعبارة .

لم يبق إذن إلا أَن نرجع إلى الآيات لعلنا واجدون عندها الجواب ، ونحن إذ نفعل نجد آية المؤْمنون لم تذكر من الأَشربة التى تخرج من حيوان أَو حشرة إلا لبن الأَنعام – هو إذن فى موطنه وحيد لا يقابله من نوعه مقابل أَما آية النحل فتذكر عسل النحل مع لبن الأَنعام ، حيث يقول الله سبحانه : ( وأَوحى ربُّك إلى النحلِ أَن اتخذى من الجبالِ بيوتا ومن الشجر ومما يَعرشون ثمَ كلى من كلِّ الثمراتِ فاسلُكى سبلَ ربِّك ذُلُلا ، يَخرج من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانُه ، فيه شفاءٌ للناسِ ، إن فى ذلك لآيةً لقومٍ يتفكرون )[3] .

---

(١) معانى القرآن : ٢ : ١٠٨ ، ١٠٩

(٢) الكشاف : ١ : ٥٢٨

(٣) سورة النحل : ٦٩

فالأنعام ولبنها يقابلان هنا النحل وعسلها ، لكن الأنعام تخرج لبنا ، لا يختلف لونا ولا طعما ولا رائحة ، أو يكاد . وهى إذن جمع عددا ومفرد أو فى حكم المفرد لبنا ، ولا كذلك النحل ، فهى تخرج شرابا مختلفا ألوانه ، فأبيض ، وأصفر وأحمر ، وأدكن . وهو مع ذلك – مختلف رائحة وطعما بحسب ما ارتشفه النحل من رحيق الثمرات وهى إذن جمع عددا وعسلا وإذن يناسب الأنعام هنا ضمير المفرد المذكر ، ويناسب النحل ضمير الجمع لغير العاقل وفى ضمير كل إشارة دقيقة إلى خصائص ما يخرج منه من شراب .

ويصطنع القرآن الكريم هذا النوع من الرمز بالضمير فى مواطن أخرى ، منها ، قوله تعالى : ( يَحلفون باللهِ لكم ليرضوكم ، والله ورسولُه أحقُّ أن يُرضوه إن كانوا مؤمنين )[1] فضمير (يرضوه) مفرد ، والله ورسوله اثنان فى العدد لكنهما واحد فى حق الاختصاص بالإرضاء لذلك جاء التعبير هنا رمزا بالضمير ، وترك التعبير عنها تصريحا لقوله تعالى فى موطن آخر : مَن يُطع الرسول فقد أطاع اللهَ )[2] ومن مواطن هذا الرمز أيضا قوله سبحانه : ( وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما[3] ) فهاتان الطائفتان تظلان على حالهما طائفتين ما أمسكتا عن القتال ، أما إذا اقتتلتا فقد انفرط العقد وانتشر الجمع ، وإذاهما فرد لفرد لا طائفة ، لطائفة وصح حينئذ أن يرمز لهذا التفرق بضمير ( اقتتلوا ) حتى إذا ثابتا إلى الرشد وجنحتا للسلم ، فقد رجعتا إلى التماسك والتضام ، لأن الصلح لا يكون بين آحادهما ولكن بين جمعيهما بالإنابة والتوكيل .

أقول قولى هذا وأضرع إلى ربنا جل وعلا أن يتقبل ما عسى أن يكون فيه من صواب ، وأن يعفو عما عسى أن يكون فيه من خطل ، ما كان إلا من أخذ بسبب من أسباب حكمة إنزال القرآن الكريم كما فى قوله تعالى : ( كتاب أنزلناه إليك مباركٌ ليدَّبَّروا آياتِه ، وليتذكرَ أولو الألباب )[4] .

**على النجدى ناصف**
عضو المجمع

---

(١) سورة التوبة : ٦٢ (٢) سورة النساء : ٨٠ (٣) سورة الحجرات : ٥ (٤) سورة ص : ٥٨